24 - السيدة أم هشام بنت حارثة

ابنة الأنصاري المحبّ

اسمها أم هشام، والدها حارثة بن النعمان، والدتها أم خالد بنت خالد ابن يعيش الأنصارية من بني مالك.

كانت أم خالد واحدة من النساء الفاضلات، وقد أنجبت لحارثة خمسة أولاد، هم: عبد الله، وعبد الرحمن، وسودة، وعمرة، وأم هشام؛ وله من غيرها أم كلثوم، وأمة الله.

كان حارثة بن النعمان ﷺ محبّاً لله ولرسول الله ﷺ، وكان حبه له مميَّزاً، وظاهراً في أقواله وأفعاله، وحسبنا أن نذكر فعلاً بادي الحسن حرص حارثة على تكراره دون أن يذكره للناس، حتى أظهره رسول الله ﷺ ليعلم الناس أي رجلٍ كان حارثة ﷺ.

لقد أنعم الله تعالى على حارثة بالمال الكثير، حتى كانت له منازل عديدة بجوار مسجد رسول الله ﷺ في المدينة - حرسها الله تعالى - ومن أسعد بجوار النبي ﷺ من حارثة؟! وقد فهم حارثة حسن الجوار على أحسن وجهٍ وأتمّه، فكان رسول الله ﷺ كلما تزوج تحوَّل له حارثة ﷺ عن منزله إلى آخر، حتى إذا تكرَّر منه ذلك مراراً، قال النبي ﷺ: «**لَقَدْ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ حَارِثَةَ، مِمَّا يَتَحَوَّلُ لَنَا عَنْ مَنَازِلِهِ**»، فأي تشريفٍ أصبت يا حارثة من رسول الله ﷺ؟! وأي تكريم؟!.

وأما أم هشام بنت حارثة فقد كانت مستمسكة بدينها مواظبة على حضور المكتوبة خلف رسول الله ﷺ في مسجده الشريف، ومن التمس الدليل فليستمع إلى أم هشام تحدِّث عن نفسها فيما رواه النسائي، قَالَ: حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيٌّ - وَهُوَ ابْنُ الْمُبَارَكِ - عَنْ يَحْيَى،

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنِ ابْنَةِ حَارِثَةَ بْنِ النُّعْمَانِ قَالَتْ: حَفِظْتُ: ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١﴾ [ق: 1] مِنْ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ[1] وذلك من كثرة ترديده لها ﷺ، مما مكّن أم هشام رضي الله عنها من حفظها، وذلك من فضل الله وتيسره الخير لها.

وكان أبوها حارثة مرافقاً لرسول الله ﷺ في حله وترحاله، وسلمه وغزواته ضد المشركين، لا يكفُّ عن مرافقته، إذ لا طاقة له على مفارقته، وقد خرج مع رسول الله ﷺ إلى بدرٍ، كما شهد معه كل المشاهد الأخرى، ولندع حارثة بن النعمان يحدِّثنا عن نفسه قليلاً، قال: رأيت جبريل عليه السلام من الدهر مرتين، يوم الصُّوَرَيْن[2] حين خرج رسول الله ﷺ إلى بني قريظة، مرَّ بنا في صورة رجلٍ فأمرنا بلبس السلاح، ومرَّ بنا جبريل عليه السلام يوم موضع الجنائز حين رجعنا من حُنين، مررت وهو يكلِّم النبي ﷺ، فلم أُسلِّم، فقال جبريل عليه السلام: «من هذا يا محمد؟» قال رسول الله ﷺ: «**هَذَا حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ**»، فقال جبريل عليه السلام: «أما إنه من المئة الصابرة يوم حُنين الذين تكفَّل الله بأرزاقهم في الجنة، ولو سلَّم لرددنا عليه».

هنيئاً لك يا حارثة ما قاله الأمين جبريل عليه السلام، وما أجمل أن يبشِّرك بالجنة بنفسه!!.

وروى الإمام أحمد عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنْ حَارِثَةَ بْنِ النُّعْمَانِ قَالَ: مَرَرْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَعَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام جَالِسٌ فِي الْمَقَاعِدِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَجَزْتُ، فَلَمَّا رَجَعْتُ، وَانْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «**هَلْ رَأَيْتَ الَّذِي كَانَ مَعِي؟**» قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، وَقَدْ رَدَّ عَلَيْكَ السَّلامَ**»[3].

---

(1) رواه: النسائي/ كتاب: الجمعة/ باب: القراءة في الخطبة/ برقم: (1394).

(2) الصُّوَرَان: موضعٌ قرب المدينة، يقع بالقرب من البقيع.

(3) رواه: أحمد/ كتاب: باقي مسند الأنصار/ باب: حديث حارثة بن النعمان/ برقم: (22565).

ولكن بعد أن عرفنا ما قاله عنك جِبْرِيلُ عليه السلام يا ابن النعمان، فما الذي قاله عنك رسول الرحمن؟ فلنستمع إلى قوله يرويه عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَمْرَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نِمْتُ، فَرَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَسَمِعْتُ صَوْتَ قَارِئٍ يَقْرَأُ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ**» فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَذَاكَ الْبِرُّ، كَذَاكَ الْبِرُّ**» وَكَانَ أَبَرَّ النَّاسِ بِأُمِّهِ[1]، فقد كان حارثة رضي الله عنه شديد البرِّ بأمه، ما يفتأ يحسن إليها، ويرعى حقها، ويبالغ في إكرامها.

البرّ لا يُنسى

وإذا كان حارثة – كما شهد له رسول الله ﷺ – بارّاً بأمه، فلا شك أن أبناءه سيكونون به بارِّين، وقد رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**بِرُّوا آبَاءَكُمْ، تَبَرُّكُمْ أَبْنَاءَكُمْ**»، فما لي أرى العاقِّين لآبائهم عن قول رسول الله ﷺ معرضين؟ أتراهم زهدوا في الجنة، أم كانوا عنها راغبين؟.

وما كان لمثل أم هشام أن تزهد في الجنة، بل كانت حريصةً عليها، فتزيَّنت بالتقوى، وتجمَّلت بالهدى، وتعطَّرت بالبرِّ، ورطَّبت لسانها بكتاب الله، وحديث مصطفاه ﷺ، فكانت أُسوة خيرٍ للمتأسِّيات، وجسر رُشْدٍ للمسترشدات.

بركة خير الجيران

وكانت تلك المكاسب التي حصلت عليها أم هشام والمكارم التي ترسَّخت في نفسها ناجمةً من قربها من خير جارٍ، ووجودها في أحسن جوار، فرسول الله ﷺ وأزواجه أمهات المؤمنين في مددٍ دائم لها بالنفحات الطيبات المباركات، ولْنُصْغِ إلى أم هشام حيث تقول فيما رواه الإمام مسلم عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو

(1) رواه: أحمد/ كتاب: باقي مسند الأنصار/ باب: باقي المسند السابق/ برقم: (24026).

ابْنِ حَزْمٍ الأَنْصَارِيُّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زُرَارَةَ، عَنْ أُمِّ هِشَامٍ بِنْتِ حَارِثَةَ بْنِ النُّعْمَانِ قَالَتْ: لَقَدْ كَانَ تَنُّورُنَا وَتَنُّورُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَاحِداً سَنَتَيْنِ، أَوْ سَنَةً وَبَعْضَ سَنَةٍ، وَمَا أَخَذْتُ: ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١﴾ [ق: 1] إِلا عَنْ لِسَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقْرَؤُهَا كُلَّ يَوْمِ جُمُعَةٍ عَلَى الْمِنْبَرِ إِذَا خَطَبَ النَّاسَ[1]، فأيَّة بركة حظي بها آل حارثة بن النُّعمان من هذا الجوار الذي ليس بعده من فخار؟!!.

وقد أفادت أم هشام من ذلك فوائد جليلة يعزُّ حصرها، ويتعذَّر إحصاؤها، كان أعظمها صحبة كتاب الله، ورواية حديث رسول الله ﷺ، فأي فضلٍ عظيمٍ أُعطيتِ، وأي خير عميمٍ حُبيتِ؟!! أيتها المحدِّثة الفاضلة!.

ولقد روى عنها الحديث محمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة، وحبيب بن عبد الرحمن، وعمرة بنت حارثة أختها، وغيرهم، بيد أن أم هشام كانت طمَّاعةً في الدين، وياله من طمعٍ جميلٍ محمودٍ!! فحفظ القرآن لم يكفِها، ورواية حديث رسول الله ﷺ لم تُشبعْها، فسعت إلى فضيلة الجهاد لتضمَّها إلى مكارمها الجمَّة، ومناقبها الكثيرات.

يوم الحديبية

ففي السنة الثانية للهجرة حُوِّلت القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام الذي رفع قواعده إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام وبعد ستِّ سنواتٍ من الهجرة رأى رسول الله ﷺ رؤيا، ورؤياه حقٌّ كلها، فَعَزَمَ على إبلاغها إلى أصحابه في الصباح حين يراهم في المسجد، فقد رأى أنهم سيدخلون المسجد الحرام - إن شاء الله - محلِّقين رؤوسهم ومقصِّرين، لا يخافون، وهذا يعني أنهم - بما فيهم المهاجرون الذين تركوا أهاليهم في مكة حين هاجروا إلى المدينة - سيطوفون بالبيت ويحجُّون ويعتمرون، ثم يلتقي المهاجرون بأهاليهم، وتنتهي الآلام التي عانوها من جرَّاء ذلك.

(1) رواه: مسلم/ كتاب: الجمعة/ باب: تخفيف الصلاة والخطبة/ برقم: (1442).

وسرعان ما سرى نبأ رؤيا رسول الله ﷺ بين بيوت المدينة وأحيائها كالبرق الخاطف، ثم ما لبثوا أن سمعوا منادي رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى الخروج إلى الحج في شهر ذي القعدة، وهو أحد الأشهر الحُرُم التي يحرم فيها القتال عند العرب.

وفي الموعد المضروب خرج رسول الله ﷺ بالمسلمين قاصدين البيت الحرام في مكة وهو على ناقته القصواء يريدون زيارة البيت العتيق، وتعظيم حرمته، لا يحملون سلاحاً، ولا ينوون قتالاً، وما إن علمت قريش بعزم رسول الله ﷺ وخروجه إلى مكة، حتى استنفرت أبناءها، وجهَّزت مائتي فارسٍ بكامل عُدَّتهم وعتادهم حتى يمنعوا رسول الله ﷺ من دخول مكة، وكانت أم هشام بنت حارثة بن النعمان في طليعة النسوة اللاتي لبَّينَ نداء رسول الله ﷺ لأداء فريضة الحج.

لقد خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ يُرِيدُ زِيَارَةَ الْبَيْتِ لا يُرِيدُ قِتَالاً وَسَاقَ مَعَهُ الْهَدْيَ سَبْعِينَ بَدَنَةً وَكَانَ النَّاسُ سَبْعَمِائَةِ رَجُلٍ، فَكَانَتْ كُلُّ بَدَنَةٍ عَنْ عَشَرَةٍ، قَالَ: وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِعُسْفَانَ لَقِيَهُ بِشْرُ بْنُ سُفْيَانَ الْكَعْبِيُّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ سَمِعَتْ بِمَسِيرِكَ فَخَرَجَتْ مَعَهَا الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ قَدْ لَبِسُوا جُلُودَ النُّمُورِ يُعَاهِدُونَ اللهَ أَنْ لا تَدْخُلَهَا عَلَيْهِمْ عَنْوَةً أَبَدًا، وَهَذَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي خَيْلِهِمْ قَدِمُوا إِلَى كُرَاعِ الْغَمِيمِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يَا وَيْحَ قُرَيْشٍ لَقَدْ أَكَلَتْهُمُ الْحَرْبُ، مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ خَلَّوْا بَيْنِي وَبَيْنَ سَائِرِ النَّاسِ، فَإِنْ أَصَابُونِي كَانَ الَّذِي أَرَادُوا، وَإِنْ أَظْهَرَنِي اللهُ عَلَيْهِمْ دَخَلُوا فِي الإِسْلامِ وَهُمْ وَافِرُونَ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا قَاتَلُوا وَبِهِمْ قُوَّةٌ؟ فَمَاذَا تَظُنُّ قُرَيْشٌ وَاللهِ إِنِّي لا أَزَالُ أُجَاهِدُهُمْ عَلَى الَّذِي بَعَثَنِي اللهُ لَهُ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللهُ لَهُ، أَوْ تَنْفَرِدَ هَذِهِ السَّالِفَةُ؟»**.

ثُمَّ أَمَرَ النَّاسَ فَسَلَكُوا ذَاتَ الْيَمِينِ بَيْنَ ظَهْرَيْ الْحَمْضِ عَلَى طَرِيقٍ تُخْرِجُهُ عَلَى ثَنِيَّةِ الْمِرَارِ وَالْحُدَيْبِيَةِ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ قَالَ: فَسَلَكَ بِالْجَيْشِ تِلْكَ

الطَّرِيقَ فَلَمَّا رَأَتْ خَيْلُ قُرَيْشٍ قَتَرَةَ الْجَيْشِ قَدْ خَالَفُوا عَنْ طَرِيقِهِمْ نَكَصُوا رَاجِعِينَ إِلَى قُرَيْشٍ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى إِذَا سَلَكَ ثَنِيَّةَ الْمِرَارِ بَرَكَتْ نَاقَتُهُ، فَقَالَ النَّاسُ: خَلأَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَا خَلأَتْ، وَمَا هُوَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ عَنْ مَكَّةَ؛ وَاللهِ لا تَدْعُونِي قُرَيْشٌ الْيَوْمَ إِلَى خُطَّةٍ يَسْأَلُونِي فِيهَا صِلَةَ الرَّحِمِ إِلا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا»**.

ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ: **«انْزِلُوا»** فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا بِالْوَادِي مِنْ مَاءٍ يَنْزِلُ عَلَيْهِ النَّاسُ، فَأَخْرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، فَأَعْطَاهُ رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِهِ، فَنَزَلَ فِي قَلِيبٍ مِنْ تِلْكَ الْقُلُبِ، فَغَرَزَهُ فِيهِ، فَجَاشَ الْمَاءُ بِالرَّوَاءِ حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ عَنْهُ بِعَطَنٍ.

وفي رواية البخاري عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ: عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ يَدَيْهِ رِكْوَةٌ فَتَوَضَّأَ، فَجَهِشَ النَّاسُ نَحْوَهُ، فَقَالَ: **«مَا لَكُمْ؟»** قَالُوا: لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ، وَلا نَشْرَبُ إِلا مَا بَيْنَ يَدَيْكَ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الرِّكْوَةِ، فَجَعَلَ الْمَاءُ يَثُورُ بَيْنَ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ، فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا، قُلْتُ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: لَوْ كُنَّا مِئَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا، كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِئَةٍ[1].

فَلَمَّا اطْمَأَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ فِي رِجَالٍ مِنْ خُزَاعَةَ، فَقَالَ لَهُمْ كَقَوْلِهِ لِبُشَيْرِ بْنِ سُفْيَانَ، فَرَجَعُوا إِلَى قُرَيْشٍ فَقَالُوا: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّكُمْ تَعْجَلُونَ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَإِنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يَأْتِ لِقِتَالٍ، إِنَّمَا جَاءَ زَائِرًا لِهَذَا الْبَيْتِ مُعَظِّمًا لَحَقِّهِ، فَاتَّهَمُوهُمْ - وَكَانَتْ خُزَاعَةُ فِي عَيْبَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مُسْلِمُهَا وَمُشْرِكُهَا، لا يُخْفُونَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ شَيْئًا كَانَ بِمَكَّةَ -.

قَالُوا: وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا جَاءَ لِذَلِكَ فَلا وَاللهِ لا يَدْخُلُهَا أَبَدًا عَلَيْنَا عَنْوَةً وَلا

(1) رواه الإمام: البخاري/كتاب: المناقب/باب: علامات النبوة في الإسلام/برقم: (3311).

تَتَحَدَّثُ بِذَلِكَ الْعَرَبُ ثُمَّ بَعَثُوا إِلَيْهِ مِكْرَزَ بْنَ حَفْصِ بْنِ الأَخْيَفِ أَحَدَ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «**هَذَا رَجُلٌ غَادِرٌ**» فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ كَلَّمَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِنَحْوٍ مِمَّا كَلَّمَ بِهِ أَصْحَابَهُ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

قَالَ، فَبَعَثُوا إِلَيْهِ الْحِلْسَ بْنَ عَلْقَمَةَ الْكِنَانِيَّ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ سَيِّدُ الأَحَابِشِ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «**هَذَا مِنْ قَوْمٍ يَتَأَلَّهُونَ، فَابْعَثُوا الْهَدْيَ فِي وَجْهِهِ**» فَبَعَثُوا الْهَدْيَ، فَلَمَّا رَأَى الْهَدْيَ يَسِيلُ عَلَيْهِ مِنْ عَرْضِ الْوَادِي فِي قَلائِدِهِ قَدْ أَكَلَ أَوْتَارَهُ مِنْ طُولِ الْحَبْسِ عَنْ مَحِلِّهِ، رَجَعَ وَلَمْ يَصِلْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ إِعْظَامًا لِمَا رَأَى، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ قَدْ رَأَيْتُ مَا لا يَحِلُّ صَدُّهُ، الْهَدْيَ فِي قَلائِدِهِ قَدْ أَكَلَ أَوْتَارَهُ مِنْ طُولِ الْحَبْسِ عَنْ مَحِلِّهِ فَقَالُوا: اجْلِسْ إِنَّمَا أَنْتَ أَعْرَابِيٌّ لا عِلْمَ لَكَ.

فَبَعَثُوا إِلَيْهِ عُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَا يَلْقَى مِنْكُمْ مَنْ تَبْعَثُونَ إِلَى مُحَمَّدٍ إِذَا جَاءَكُمْ مِنَ التَّعْنِيفِ وَسُوءِ اللَّفْظِ، وَقَدْ عَرَفْتُمْ أَنَّكُمْ وَالِدٌ وَأَنِّي وَلَدٌ وَقَدْ سَمِعْتُ بِالَّذِي نَابَكُمْ فَجَمَعْتُ مَنْ أَطَاعَنِي مِنْ قَوْمِي ثُمَّ جِئْتُ حَتَّى آسَيْتُكُمْ بِنَفْسِي، قَالُوا: صَدَقْتَ مَا أَنْتَ عِنْدَنَا بِمُتَّهَمٍ فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ جَمَعْتَ أَوْبَاشَ النَّاسِ ثُمَّ جِئْتَ بِهِمْ لِبَيْضَتِكَ لِتَفُضَّهَا، إِنَّهَا قُرَيْشٌ قَدْ خَرَجَتْ مَعَهَا الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ قَدْ لَبِسُوا جُلُودَ النُّمُورِ يُعَاهِدُونَ اللهَ أَنْ لا تَدْخُلَهَا عَلَيْهِمْ عَنْوَةً أَبَدًا، وَأَيْمُ اللهِ لَكَأَنِّي بِهَؤُلاءِ قَدْ انْكَشَفُوا عَنْكَ غَدًا.

قَالَ: وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَاعِدٌ فَقَالَ: اِصْمُتْ يَا رَجُلُ، أَنَحْنُ نَنْكَشِفُ عَنْهُ؟ قَالَ: مَنْ هَذَا يَا مُحَمَّدُ؟ قَالَ: «**هَذَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ**» قَالَ: وَاللهِ لَوْلا يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَكَافَأْتُكَ بِهَا، وَلَكِنَّ هَذِهِ بِهَا، ثُمَّ تَنَاوَلَ لِحْيَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ وَاقِفٌ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ

فِي الْحَدِيدِ يَقْرَعُ يَدَهُ ثُمَّ قَالَ: أَمْسِكْ يَدَكَ عِنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَبْلَ وَاللهِ لا تَصِلُ إِلَيْكَ، قَالَ: وَيْحَكَ مَا أَفَظَّكَ وَأَغْلَظَكَ!! فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: مَنْ هَذَا يَا مُحَمَّدُ؟ قَالَ: «هَذَا ابْنُ أَخِيكَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ» قَالَ: أَغُدَرُ؟! هَلْ غَسَلْتَ سَوْأَتَكَ إِلا بِالأَمْسِ؟ قَالَ: فَكَلَّمَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمِثْلِ مَا كَلَّمَ بِهِ أَصْحَابَهُ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ يُرِيدُ حَرْبًا؛ قَالَ: فَقَامَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَدْ رَأَى مَا يَصْنَعُ بِهِ أَصْحَابُهُ لا يَتَوَضَّأُ وُضُوءً، إِلا ابْتَدَرُوهُ؛ وَلا يَبْسُقُ بُسَاقًا، إِلا ابْتَدَرُوهُ؛ وَلا يَسْقُطُ مِنْ شَعَرِهِ شَيْءٌ، إِلا أَخَذُوهُ؛ فَرَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنِّي جِئْتُ كِسْرَى فِي مُلْكِهِ، وَجِئْتُ قَيْصَرَ وَالنَّجَاشِيَّ فِي مُلْكِهِمَا، وَاللهِ مَا رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ مِثْلَ مُحَمَّدٍ فِي أَصْحَابِهِ؛ وَلَقَدْ رَأَيْتُ قَوْمًا لا يُسْلِمُونَهُ لِشَيْءٍ أَبَدًا، فَرُوا رَأْيَكُمْ.

قَالَ: وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَبْلَ ذَلِكَ بَعَثَ خِرَاشَ بْنَ أُمَيَّةَ الْخُزَاعِيَّ إِلَى مَكَّةَ وَحَمَلَهُ عَلَى جَمَلٍ لَهُ يُقَالُ لَهُ: الثَّعْلَبُ فَلَمَّا دَخَلَ مَكَّةَ عَقَرَتْ بِهِ قُرَيْشٌ، وَأَرَادُوا قَتْلَ خِرَاشٍ فَمَنَعَهُمْ الأَحَابِشُ، حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَدَعَا عُمَرَ لِيَبْعَثَهُ إِلَى مَكَّةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أَخَافُ قُرَيْشًا عَلَى نَفْسِي، وَلَيْسَ بِهَا مِنْ بَنِي عَدِيٍّ أَحَدٌ يَمْنَعُنِي، وَقَدْ عَرَفَتْ قُرَيْشٌ عَدَاوَتِي إِيَّاهَا وَغِلْظَتِي عَلَيْهَا، وَلَكِنْ أَدُلُّكَ عَلَى رَجُلٍ هُوَ أَعَزُّ مِنِّي: عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ.

قَالَ: فَدَعَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَبَعَثَهُ إِلَى قُرَيْشٍ يُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ لِحَرْبٍ وَأَنَّهُ جَاءَ زَائِرًا لِهَذَا الْبَيْتِ مُعَظِّمًا لِحُرْمَتِهِ؛ فَخَرَجَ عُثْمَانُ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ، وَلَقِيَهُ أَبَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ فَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ، وَحَمَلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَرَدِفَ خَلْفَهُ، وَأَجَارَهُ حَتَّى بَلَّغَ رِسَالَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَانْطَلَقَ عُثْمَانُ حَتَّى أَتَى أَبَا سُفْيَانَ وَعُظَمَاءَ قُرَيْشٍ فَبَلَّغَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا أَرْسَلَهُ بِهِ، فَقَالُوا لِعُثْمَانَ: إِنْ شِئْتَ أَنْ تَطُوفَ بِالْبَيْتِ فَطُفْ بِهِ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ لأَفْعَلَ حَتَّى يَطُوفَ بِهِ

رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَاحْتَبَسَتْهُ قُرَيْشٌ عِنْدَهَا فَبَلَغَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ أَنَّ عُثْمَانَ قَدْ قُتِلَ[1].

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ سَمِعَ ذَلِكَ: «**لا نَبْرَحُ حَتَّى نُنَاجِزَ الْقَوْمَ**»، روى مسلم عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ سَمِعَ جَابِرًا يَسْأَلُ: كَمْ كَانُوا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ؟ قَالَ: كُنَّا أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِئَةً، فَبَايَعْنَاهُ، وَعُمَرُ آخِذٌ بِيَدِهِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَهِيَ سَمُرَةٌ[2]، فكانت بيعة الرضوان.

وبايعت أم هشام يومها رسول الله ﷺ، فربح بيع المبايعين، وكانوا بالجنة فائزين فقد أخرج الترمذي عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ، عَنْ خِدَاشٍ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مَنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ إِلا صَاحِبَ الْجَمَلِ الأَحْمَرِ**» قَالَ أَبُو عِيسَى الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ»[3].

وَحَدَّثَ قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**»، قَالَ أَبُو عِيسَى الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»[4].

رحم الله أم هشام، ووالدها حارثة بن النعمان فقد وفيا بعهد الإسلام، وأخلصا له الإخلاص التام.

(1) حديث الحديبية طويل رواه: أحمد/ كتاب: أول مسند الكوفيين/ باب: حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم/ برقم: (18152).

(2) رواه: مسلم/ كتاب: الإمارة/ باب: استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال/ برقم: (3451).

(3) رواه: الترمذي/ كتاب: المناقب عن رسول الله ﷺ/ باب: فيمن سب أصحاب رسول الله ﷺ/ برقم: (3798).

(4) رواه: الترمذي/ كتاب: المناقب عن رسول الله ﷺ/ باب: في فضل من بايع تحت الشجرة/ برقم: (3795).